الموروث الثقافي وانعكاساته على انتماء المرأة للحركات النسوية في العراق دراسة وصفية في محافظة بابل

الباحثة: فرح هادي عبس

أ.م.د فلاح جابر جاسم

art.jou@qu.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/٩/٢٨

تاريخ القبول :٢٠٢٢/١١/٦

الملخص

هدف البحث إلى تسليط الضوء على تأثير الموروثات الثقافية والمتمثلة بالعادات والتقاليد والأفكار والتي تكون مسؤولة عن إحداث التمييز والتهميش والفوارق بين الجنسين وهذه بدورها تؤثر على انتماء المرأة للحركات النسوية، بالإضافة إلى توضيح كيفية تأثير تلك الموروثات على الحد من انتماء المرأة للجهات التي تمثلها وبهذا تحدث الصراعات الثقافية داخل المجتمع والتي أساسها التمييز بين الجنسين والتقييد لسلوك وتوجهات أحدهم دون الآخر ، فتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الثقافة هي جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم وليس بالوراثة، كما تؤدي القيم إلى اكتساب أفراد الجماعة الضمير الجمعي والذي ينبثق من الإجماع، فالتأثر بقيم الجماعة وتبنيها يؤدي إلى امتزاجها في شخصية أفرادها، وأيضا يعتبر الموروث الثقافي أو الثقافة الشعبية ظاهرة تاريخية نشأت من تفاعل عناصر المجتمع خلال فترات تاريخية متعددة، وعند النظر إلى تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء نجده يعود إلى التصورات التي ينتجها المجتمع بتأثير تقاليده وثقافته وعاداته.

وأوصت الدراسة بـ العمل على ترسيخ الثقافة الإيجابية عند الإنسان من خلال التعلم وترك الموروثات الثقافية المتناقلة عبر الوراثة والتي لا تمثل الفرد نفسه، كما يجب العمل على التأثر بالقيم التي لا ترسخ مفهوم التمييز بين الجنسين بل التي تعمل على نشر المساواة والعمل الجماعي بين الجنسين، وأيضا العمل على تقسيم الأدوار بشكل متساوي بين النساء والرجال والتي بدورها تعمل على نشر العمل الجماعي والمساواة بين الجنسين.

الكلمات المفتاحية:

١- الموروث الثقافي ٢- الانتماء ٣- الحركات النسوية

Abstract

The study aimed to shed light to the impact of cultural legacies represented by customs, traditions and ideas, which are responsible for causing discrimination, marginalization and gender differences, which in turn affect women's affiliation with feminist movements, in addition to clarifying how these legacies affect women's development for the entities they represent and thus conflicts occur. The culture within society, which is based on discrimination between the sexes and restricting the behavior and orientations of one of them without the other.

The results of the study concluded that culture is in the aspects of human life that a person acquires through learning and not through heredity, and the values lead to group members acquiring the collective conscience that stems from consensus. It leads to its mixing in the personality of its members, and also the cultural heritage or popular culture is a historical phenomenon that arose from the interaction of the elements of society during multiple historical periods, and when looking at the division of roles between men and women, we find it returns to the perceptions it produces society influenced by its traditions, culture and customs.

The study recommended working to establish a positive culture in human beings through learning and leaving the cultural legacies transmitted through heredity that do not represent the individual himself, and work must be influenced by the values that do not establish the concept of gender discrimination, but rather work to spread equality and teamwork between the sexes, and also work on dividing roles equally between women and men, which in turn works to spread the work collective and gender equality.

منهج البحث

تم اعتماد المنهج الوصفي في البحث، فتعتبر البحوث الوصفية من البحوث الشائعة الاستخدام بين الباحثين، كما يهدف المنهج الوصفي إلى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة، ومن ثم العمل على وصفها، فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما موجودة في الواقع ويهتم بوصفها بدقة، وتأتي أهمية المنهج الوصفي بوصفة ركن أساسي في البحث العلمي، وفي نظر الكثيرين من الباحثين، فإنه المنهج الأكثر ملائمة لدراسة أغلب المجالات الإنسانية نتيجة صعوبة استخدام المناهج الأخرى

وبالأخص المنهج التجريبي وغيره، ويعرف المنهج الوصفي بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كمياً عن طريق جمع المعلومات معينة عن ظاهرة أو مشكلة وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة. (عزيز حنا داوود وآخرون: ١٩٩٠، ص١٧)

مجتمع البحث

يعتبر مجتمع البحث مجموعة العناصر المتوافرة فيها صفات مشتركة وتكون قابله للدراسة وللوصف، فتركزت الدراسة الوصفية هذه على محافظة بابل.

المقدمة

تعتبر الثقافة السائدة في أي مجتمع هي المحدد الأساس لطبيعة ذلك المجتمع وطبيعة القضايا الحاصلة فيه، فالثقافة تلعب دور كبير في الفرض على إفراد المجتمع سلوكهم وكيفية تصرفهم ومواجهتهم لموقف ما، وعند التطرق إلى الموروثات الثقافية فهي تعتبر شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية والعميقة الجذور، وأيضا تنتقل من جيل إلى أخر ويصمد خلال فترات زمنية متفاوتة نوعياً ومتميزة بيئياً، فتظهر علية التغيرات الثقافية الداخلية والعادية لكنه يبقى دائماً يحتفظ بوحدة أساسية مستمرة وهو فرض أمور عديدة على الإفراد وأن تغيرت الأنماط الثقافية المتوارثة.

مشكلة البحث

يركز البحث على التأثير السلبي للموروثات الثقافية من تقاليد وعادات وأعراف على الواقع الذي تعيشه المرأة وأيضا تأثيرها على انتماءاتها، وأيضاً في الفرض الذي تمارسه هذه الموروثات على المرأة بوجه الخصوص وفي التحكم الغير مبرر الموجهة ضد للمرأة، وهذا يؤثر بصورة سلبية على المرأة وفي كيفية اتخاذها لقراراتها الخاصة والمتعلقة بحياتها، فتظل المرأة محاطة بجدران الموروثات الثقافية والتي كلما أطاعتها المرأة تضيق عليها تلك الجدران وتصبح هي المتحكمة بها.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على الموروثات الثقافية المؤثرة على المرأة بالدرجة الأولى والتي بدورها تقوم بتوعية المرأة و تجعلها أكثر قدرة على أن تتحكم هي بمصيرها وفي قراراتها دون أن تسمح لموروثات ثقافية غير مبرره أن تقلل من شأنها وتتحكم فيها وفي انتماءاتها الاجتماعية أو السياسية منها، وأيضاً يقوم البحث بتفسير وتسليط الضوء على الطريقة التي يتم التعامل بها مع المرأة وفق هذه الموروثات الثقافية والمتمثلة بالعادات والتقاليد والأفكار المتعلقة بالماضي والأعراف وغيرها من المتوارث من الأجيال السابقة.

أهداف البحث

١- توضيح ما هي الموروثات الثقافية.

٢- التعرف على الكيفية التي يتم التعامل بها مع المرأة وفق الموروثات الثقافية.

٣- التعرف على الثقافة الشعبية أو الموروثات الثقافية بوصفها ظاهرة تاريخية.

٤- التعرف على كيفية تقسيم الأدوار بين الرجل والمرأة وفق المجتمعات التي تحكمها الموروثات الثقافية.

المفاهيم والمصطلحات

١- الموروث الثقافي (Cultural Heritage)

يعد الموروث في اللغة من الكلمات الشائعة فالتراث مأخوذ من الفعل (ورث) (يرث) فنقول ورث فلاناً أي أنتقل إليه مال فلان بعد وفاته.(فؤاد إفرام البستاني: ١٩٧٣، ص٩١١) أي حصول الفرد على أموال ممن سبقه.

أما الثقافة فمن الناحية اللغوية لم يعرف لسان العرب كلمة ثقافة بمفاهيمها الفلسفية و الانثروبولوجية بل عرف العرب الأوائل الأفعال والمصادر المشتقة من جذر (ثقف) وهي بمعنى الفهم والحذق وسرعة التعلم فقالوا التثقيف تقويم الاعوجاج وبذلك تشتق كلمة الثقافة من الفعل (ثَقُفَ – يثْقُفَ – ثَقافةً – فهو ثَقفٌ) فـ ثقف الشخص بمعنى أصبح حاذقاً فطناً بمعنى أتجه على المطالعة حتى ثقُف، ثَقف الشيء ثقفاً و ثقافاً و ثُقُوفة: أي حذقه، ورجل ثَقْفٌ وثَقفٌ وثَقُفٌ: حاذقٌ فَهم، وأتبعوه فقالوا رجل ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يَحْويه قائماً به.(حسام الدين فياض: ٢٠١٧، ص٤)
فتعرف الثقافة بأنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها، فثقف الشيء أقام المعوج منه وسواه. (المعجم الوسيط: ٢٠٠٤، ص٩٨)

أما على الصعيد الثقافي فيعرف الموروث أو التراث بأنه كل ما أنتجته الحضارات وتراكم عبر التاريخ وتم نقله من السلف إلى الخلف ويشمل بذلك نتاج تجارب الإنسان وأحاسيسه أي أنه مجموع التاريخ المادي والمعنوي لحضارة معينة، وعليه يمكن اعتبار التراث يحمل بين طياته موروثات مادية ملموسة تظهر في أسلوب الحياة وأدوات وأساليب الإنتاج وفي غيرها من الأشياء المحسوسة وموروثات فكرية وجدانية متجسدة في القيم والعادات والتقاليد. (إبراهيم أحمد وآخرون: ٢٠١٤، ص١٠-١١)

أما الثقافة فتعني تراكماً من العمل الفني والذهني، فهي الصيرورة التي يحصل فيها الارتقاء الروحاني والذهني، القيم، العادات، المعتقدات، والممارسات الرمزية التي يوظفها الرجال والنساء في الحياة أو الطريقة الكلية المعتمدة في الحياة. (تيري ايغلتن: ٢٠١٨، ص٣٥)

وللثقافة مقوماتها المعنوية التي تتمثل في مجموعة العادات والتقاليد التي تسود في مجتمع ما ويتوارثها أفراد ذلك المجتمع جيلاً بعد جيل وتتمثل في القوانين والأعراف والقيم والقواعد الأخلاقية التي يتحدد من خلالها طبيعة العلاقات بين بعضهم البعض.(حسام الدين فياض، ص٣)

وبهذا فأن الموروث الثقافي في معناه العام كل ما ينقل شفهياً أو كتابياً عبر الأجيال من عناصر ومكونات ثقافية مادية أو معنوية المتمثلة في الرموز والحركات والنشاطات الاحتفالية والفنون الأدبية والأهازيج والحكايات والموسيقى الشعبية بمختلف طباعها، تعبر كلها عن الخصوصية الثقافية التي يتميز بها أي مجتمع من المجتمعات. (إبراهيم أحمد وآخرون، ص٦)

فيمكن تعريف الموروث الثقافي من خلال ما ورد أعلاه بأنه كل ما ينتقل للفرد من إسلافه سواء كان ذلك شفهياً أو ما تناقل عبر الوثائق التاريخية من وصايا وحكم وأقوال تعتبر للبعض هي القانون المحرك لحياته وأشد ضبطاً من القانون عند الكثير من الأفراد، فلا يمكن الخروج عن هذه الموروثات ويعد من يقدم على هكذا فعل منبوذ أو تقع عليه نظرة الوصمة الاجتماعية من قبل من يحيطون به، وتعد المرأة هي أكثر شخص يطبق عليه الموروثات الثقافية بما تشمله من عادات وتقاليد وقيم فيتم تحريكها والتحكم بحياتها والاختيار بدل عنها، فيعتبرها البعض مرآة لتطبيقه ما يفرض عليه من عادات وقيم وغيرها، فيشعر المسئول عنها بأنه كلما زادت سيطرته وفرضه للموروثات الثقافية على المرأة داخل عائلته سواء كانت (أخت – زوجة–أم) كلما تحسنت نظرة المجتمع له، فالكثير من الأشخاص لا يطبق الموروثات الثقافية حباً واعتزازاً لها بل يسعى لتطبيقها لكي يكسب نظرة من حوله بصورة إيجابية.

٢- الانتماء(Affiliation)

لانتماء لغوياً مأخوذة من النماء إي الزيادة والارتفاع والعلو.(سناء محمد سلمان: ٢٠١٣، ص٢٣٠) وتدل كلمة (Belongingness) في المعاجم الانكليزية على معنى الانتماء وهي ترجع في الأصل إلى كلمة (Belong) التي تعني الفعل ينتمي أو يرتبط بعلاقة وثيقة ويتمتع بالعلاقات الاجتماعية التي تتيح الاندماج في الجماعة.(مؤتمر واجب الجامعات السعودية: ٢٠١٨)

فهو الانتساب الذي يجسد خيوط الولاء التي تشد الإنسان إلى ما ينتسب إليه فيرتبط به وينجذب إليه ويخلص له الولاء والانتماء.(محمد عمارة: ١٩٩٧، ص٨)

كما يعد الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكراً وتجسده الجوارح عملاً والرغبة في تقمص عضوية ما، لمحبة الفرد لذلك و الاعتزاز بالانضمام إلى هذا الشيء، ويكون الانتماء للدين بالالتزام بتعليماته والثبات على منهجه بالتضحية من اجلها تضحية نابعة من شعوره بحب ذلك الوطن وشعبه. (إبراهيم ناصر: ٢٠٠٢، ص٢٣٠)

كما يعرف بأنه مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد يحيى بها الفرد فتظل مدى أعوام تسري في داخله حتى تتحول إلى وجود غير محسوس كأنه الهواء يتنفسه وهو لا يراه ثم تتسع دوائر انتمائه كلما اتسع نطاق تلك المجموعة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد. إن الانتماء لا يأتي عن طريق المعرفة فقط وإنما يتكون عن طريق الخبرات الوجدانية و الاجتماعية وعن طريق حاجات ضرورية معنوية وماديه متبادلة بين المواطن ووطنه.(سناء محمد سلمان: ص٢٢٩)

فيعرف الانتماء بحسب ما ذكر أعلاه بأنه كل شيء يشعر الفرد بوجوده وانتمائه له فيسبب خروجه منه والابتعاد عنه مشاكل واضطرابات وصراعات داخلية له،فلا يشعر بوجوده خارجه إطار الجهة المنتمي إليها، سواء كان انتمائه يتمثل بجماعة معينة أو مؤسسة معينة أو أي جهة أخرى يشعر الفرد تجاهها بأنها مكملة له ولأفكاره ومعتقداته.

٣- الحركة النسوية (Feminism)

تعرف الحركة لغويا بأنها الخروج عن السكون، فالحركة انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر أو انتقال أجزائه كما في حركة (الرحى)، والنسوة هي (النساء) والنساء بمعنى جمع امرأة من غير لفظة.(العجم الوجيز: ص١٤٧) وتأتي النسوية من مادة (نسي) في اللغة العربية (فالنون والسين والياء أصلان صحيحان يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك الشيء).(معجم مقاييس اللغة: ص٤٢١)

ومن مادة نسا ونسو: النسوة والنسوة– بالكسر والضم–، والنساء والنِّسْوان والنِّسَوان والنُّسوان: جموع المرأة من غير لفظها كالقوم في جمع المرءِ، وليس لها واحد من لفظها، قال ابن سيده: والنساء جمع نسوة: أذا كثرن، وقال سيبويه في الإضافة إلى نساء: نِسْوِيّ فرده إلى واحده، وتصغيره نِسوةٍ نُسَيَّةٌ، ويقال: نُسَيَّاتُ، وهو تصغير الجمع.(لسان العرب: ص٣٢١)

والحركة النسوية هي حركة سياسية في أصولها تهدف إلى غايات اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها، والفكر النسوي بشكل عام انساق نظرية من المفاهيم والقضايا والتحليلات تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهن، وسبل تحسينها وتفعيلها، وكيفية الاستفادة المثلى منها، فالنسوية إذن ممارسات تطبيقية واقعية ذات أهداف عينية، وهكذا بدأت النسوية في القرن التاسع عشر كحركة اجتماعية توالد عنها فكر نسوي.(يمنى طريف الخولي: ٢٠١٧، ص١١)

كما أنها ممارسة سياسية لتحرير جميع النساء (نساء الطبقات الكادحة النساء الفقيرات . النساء ذوات الصعوبات الجسدية . النساء الكبيرات بالسن).(ويندي كيه كولمار: ٢٠٠٩، ص٢٠) فهي نهضة اجتماعية تهدف إلى إحراز للمرأة موقع مساو لموقع الرجل على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وتسمى أيضا برابطة الدفاع عن المرأة. (نرجس رودكر: ٢٠١٩، ص١٦)

وبهذا فأن الحركة النسوية هي كل حركة تتناول قضايا المرأة من منظور يختلف عن ما ينظر إليه المجتمع، فهي تهدف إلى إيجاد حلول لكل ما يعترض طريق المرأة سواء مشاكل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، كما تعمل الحركة النسوية على خلق كيان مستقل للمرأة ليأخذ بنظر الاعتبار كل احتياجاتها ومطالبها ولا ينظر إليها على أنها تابع أو ينظر إليها على أنها شيء ثانوي في المجتمع بوقت أصبحت هي نصف المجتمع إذ لم تكن كل المجتمع في ظروف ما.
و النسوية (Feminism) والتي تتمركز حول الأنثى، تنقسم على مرحلتين:(عبد الوهاب المسيري: ٢٠٠٢، ص٣٢٦)

١- مرحلة ينقسم فيها العالم إلى متمركزين بشكل كامل حول ذكورتهم، ويحاولون أن يهيمنوا على الإناث، أو ينقسم العالم إلى إناث متمركزات حول أنوثتهن ويحاولن الهيمنة على الذكور.

٢- مرحلة تتحل فيها جميع الروابط والعلاقات فيصبح الوضع غير مقسم ولا فارق بين ذكور و إناث، فلا يحدث صراع بينهم فيذوبون في كيان واحد ولا يوجد شيء يسمى ذكر وأنثى بل كلاهما واحد.

- **الموروث الثقافي وانعكاساته على انتماء المرأة للحركات النسوية في العراق**

تعد الثقافة من وجهة نظر علماء الاجتماع بأنها جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم وليس بالوراثة، ويشترك أفراد المجتمع بعناصر الثقافة والتي تفتح لهم آفاق التواصل والتعاون.(أنتوني غيدنز:٢٠٠٥، ص٨٢) كما يمكن التمييز بين الثقافة بكونها مادية (الخبرة في ميدان الإنتاج، الآلات، وغيرها من الثروات المادية)، أو بكونها ثقافة روحية (تمثل المنجزات في مجال الفن والعلم والفلسفة و الأخلاق والتربية)، وتعتبر التقاليد نتاجاً للفعل من ناحية، أو تعتبر عوامل شرطية تحدد الفعل المقبل.(سامية الساعاتي: ٢٠٠٦،ص١١٩)

كما يمكن أن يكون الفرد منتجاً للثقافة وحاملها، لكنها لا يمكن أن تنمو وتزدهر إلا بين المجموع، وتبدأ هذه العلاقة من خلال التعامل مع الآخرين والحالة الوظيفية،(من خلال الأسرة والأبناء والزوجة ومن ثم المجتمع) وهذا يتم من خلال مقومات وصيغ تعامل، وهذا التعامل الذي تطور عبر التاريخ واكتسب تراكماً معرفياً في كل جوانبه، وهو يحقق حالة من التوافق والإشباع لرغبات جديدة واستجابات جديدة، وعامل الاستنباط والتكيف لهذا الفعل أو غيره.(عيد الدرويش: ٢٠٠٣، ص٨)

كما تعد الثقافة من وجهة نظر بعض الأنثروبولوجين بأنها حقل متخصص في دراسة نمط الحياة الإنسانية عبر مئات السنين، فما نعيشه في الحاضر هو معبر عن ثقافة متراكمة استمرت لفترات زمنية من خلال التواصل الإنساني والتناقل عبر الأجيال.(Chi-Lu, Chen:1987,p22)

فالثقافة تأتي من (التقاليد والشعائر والطقوس، والدين والتاريخ، والمجتمع، ومن عمليات تفاعل الأفراد، والتراث الشعبي) فهي ترتوي من أكثر من منبع، فهي فعل ينتج من التفاعل، ويجد المرء في الثقافة خاصة في الشعبية منها نماذج جاهزة تحصل على درجة صدق كبيرة في وسطه وبيئته، يعتمد على تبنيها بكونها شائعة ومعممة.(عماد عبد الغني: ٢٠٠٦، ص٥٠)

أما على مستوى الأسرة فالعلاقات تفرض من قبل الآباء والأمهات نوعية السلوك الصادر من الأبناء، وهذا يكون ضمن مجموعة تراكيب ومعايير تتجمع من خلال العادات والتقاليد والدين وقيود المجتمع الضيق، ومع تسارع وتيرة الحياة والاتصالات المعلوماتية وإشراك المرأة إلى جانب الرجل جعلت هذه الضوابط الاجتماعية والمعايير تذوب، لتكون محلها ضوابط أخرى فوصلت إلى القانون أيضا والذي يشمل كل شرائح المجتمع، ومع ذلك ظلت قوانين المجتمع هي أقوى من القانون الوضعي في أغلب الأحيان، ففي الكثير من المواقف قد يتمسك الفرد بالأنظمة الاجتماعية أكثر، حتى وأن عارضت القيم الروحية والقانونية كما في مسألة الثأر، وتظهر هذه الرابطة القوية في المجتمعات القبلية.(عيد الدرويش: ص٤٣-٤٤)

وبهذا تتكون الموروثات الثقافية والتي يمكن اعتبارها مستودع من المعتقدات والقيم والمعارف والعرف والعادات، وكل الأساليب التي تحفظ بقاء الإنسان لكونه يعيش بين جماعة تنتج هذا التراث الثقافي وتحافظ عليه، فهو يعتبر أداة ضابطه لسلوك الأفراد خاصة في المجتمعات القبلية التي لا يسود فيها القانون بالدرجة الأساس بل يكون العرف والعادات والتقاليد هي السائدة في مواجهة الإشكاليات الحاصلة في تلك المجتمعات.

كما تعتبر القيم نسبية ويختلف تقديرها إلى حد بعيد باختلاف الدول، وأن مسمى القيم العالمية بالرغم ما ينطوي عليه من أفكار براقة مجردة، نراه يحفل بالأهواء الثقافية والسياسية للمجتمعات الثرية والقوية، وبهذا تنحصر معايير السلوك في إطار السياقات الاجتماعية، والأعراف الثقافية.(محمد زين العابدين وآخرون: ٢٠١٥، ص٦٥)

وبالنظر إلى أن القيم نسبية فهي تختلف باختلاف الحضارات، فتشير كل قيمة في مجتمع ما إلى درجة الاختلاف مابين الصواب والخطأ، ولاسيما عند معنى الأخلاق، وبهذا يصبح من دون شك درجة فراغ في منظور التمييز بين الخطأ والصواب، وهو ما يطلق عليه في العادة مسمى (توجه القيمة)، فيرى بعض الباحثين أن توجه القيمة ربما يتحدد في مسارات واتجاهات مختلفة عديدة، لكن من جانب آخر يجب أن يتحدد التوجه في اتجاه واحد ليس إلا، وهو الخطأ أو الصواب، وإلا سوف تتداخل في مفاهيم غريبة متداخلة، وليس لها علاقة بالأمر، وفي حال طرأ تغيير ما في تقدير المجتمع لقيمة ما، سوف يظل الأمر مرتبطاً بمعيار الصواب والخطأ، فقد يصبح ما كان صواباً لم يعد صواباً، وما كان خطأ لم يعد خطأ.(محمد زين العابدين وآخرون: ص٦٥)

ونتيجة للتغيرات التي طرأت على العلاقات الاجتماعية نلاحظ تغير بعض القيم الاجتماعية بطريقة سلبية، ومثل هكذا تغيير لا يسبب إزعاجا لأنه لا يسبب اضطرابا في المجتمع، ومثال ذلك ما حدث من تفكك للقيم الأسرية التقليدية عندما تحولت الأسر الكبيرة إلى أسرة نووية.

كما تكسب القيم أفراد الجماعة الضمير الجمعي والذي ينبثق من الإجماع، فالتأثر بقيم الجماعة وتبنيها يؤدي إلى امتزاجها في شخصية أفرادها، وهذا ما يجعل كل فرد منهم يشعر بالندم عند مخالفته هذه القيم، إضافة إلى أنها تشعر الإفراد بالانتماء والعضوية ذلك لأنها تربط أعضاء المجتمع الواحد ليكونوا كياناً واحداً لذلك المجتمع، فالمجتمع يعتبر المحدد للثقافة والمحدد لسماتها ويعمل على أن يتقيد بها الأفراد، وبهذا يعتبر السلطة الرادعة والقاهرة، فيجعل من الثقافة إلزامية ويتم ذلك من خلال فاعلية التنشئة الاجتماعية، وهذا ما عبر عنه ماكيفر وبيج اللذان استخدما مفهوم الثقافة ليدل على (كل ما صنعه شعب من الشعوب أو أوجده لنفسه، على أنه مجمل التراث الاجتماعي).(حسين عبد الحميد احمد رشوان: ٢٠٠٥، ص٧٨)

يعتبر الموروث الثقافي أو الثقافة الشعبية ظاهرة تاريخية نشأت من تفاعل عناصر المجتمع خلال فترات تاريخية متعددة، وبذلك تمثل ثقافة عامة الناس وليست خاصة، تنتشر بين جميع المستويات الاجتماعية وتشتمل على مختلف جوانب الحياة اليومية، وتقوم على تجارب الناس وخبراتهم والتي تراكمت عبر العصور ولا يكون لها مصدر معين وهي ملك لعامة الناس، إذ لا يتم توجيهها من قبل مؤسسة خاصة فتعتبر غير رسمية وهي نتاج اجتماعي، فقد أتفق وليام جراهام سمنر و مالينوفسكي على ذلك باعتبار أنها تولد من طرف الجماعة ويتلقاها الفرد عن طريق المحاكاة والتعليم، فيتشاركون فيها فتصبح أفعالهم جماعية يتشابهون داخل الثقافة الواحدة من خلال ممارستهم لبعض عناصرها، فالعادات والطرائق المشتركة هي التي تشكل أنماط السلوك وتميزه عن غيرة، وقد رأى سمنر أن الثقافة الشعبية تعتبر بمثابة الطرق والأساليب التي يتكيف الناس بها طبقاً لظروف حياتهم الثقافية والاجتماعية، وفي نظره من هنا تأتي الثقافة الشعبية بممارساتها

وطرقها لتحقق الإشباع والرضا للحاجات الضرورية لأعضاء المجتمع الواحد والثقافة الواحدة.(عباس إبراهيم: ٢٠٠٦، ص١٦١)

وبشكل عام يهتم الموروث الثقافي عموماً بالتقاليد والعادات والقيم والفنون ومختلف المعارف الشعبية التي أنتجها المجتمع على مر العصور من خلال خبراته وتجاربه الحياتية المتعددة، حيث يتناقلها و يتداولها الأفراد ويتعلمونها بطريقة عفوية، ولكنهم ملزمون ومجبرون بالقيام بها في سلوكياتهم وتفاعلاتهم اليومية مع غيرهم، لأنها تمثل أنماط ثقافية خاصة تجعل الفرد يرتبط مع الجماعة ويخضع لها وبالمقابل تجعل الجماعة تسيطر على الفرد، كما تساعده على تكوين شخصية متوازنة تتكيف مع المجتمع وتجعل الفرد يشعر بالانتماء داخل جماعته وتعتبر حلقة وصل بين الحاضر والماضي، كما يربط عدد من المفكرين مفهوم التراث الشعبي بالثقافة الشعبية، والتي تعتبر لدى العديد منهم القاعدة الأساسية في أي مجتمع لأنها تعتبر المرآة العاكسة لسلوكيات وتصورات المجتمع.(محمد السويدي: ١٩٩١، ص٢٣٩)

كما يقول ريشارد فايس " يوجد داخل كل إنسان شد وجذب دائماً بين السلوك الشعبي وغير الشعبي"، ففي أي مجتمع يكون لكل فرد موقفان مختلفان، احدهما جماعي والثاني فردي، كذلك يوجد اختلاف في كثافة العنصر الشعبي أو شدته، وحملة الموروثات الشعبية هم الأفراد يعيشون هذا الاختلاف والتناقض، فلا يوجد إنسان يعرف كيف يحافظ على ذاتيته الفردية المتميزة من دون أن يتأثر بمعايير السلوك المعقدة والكثيرة التي تنص عليها التقاليد، ولا يستطيع إي فرد متعلق بالأصالة في أي ثقافة الهروب من هكذا تأثير، ولا يمكن لأي إنسان أن يعدم مشاركته في هذه التقاليد، وبهذا فأن درجة التأثر بالموروثات تختلف من حامل لآخر، ويعود هذا الاختلاف إلى البيئة الثقافية التي وجد فيها هذا الفرد وفاعلية الأسرة التي نشأ فيها، ويعتبر حاملون الموروثات الأكثر تعلقاً وتشدداً به هم من يرتبطون به ارتباطا وثيقاً، ويمثل لديهم هذا الارتباط موقفاً عقلياً ونفسياً عندهم لدرجة يجعلون هذا الموروث يصل إلى درجة التقديس.(محمد الجوهري: ١٩٨٨، ص٢٩١)

وتعتبر الموروثات الثقافية أو العادات الاجتماعية وسيلة لتجسيد سلوك الأفراد، فهي تدخل في إطار المراقبة والسيطرة من طرف الضمير الجمعي حتى يصبح الفرد خاضعاً للجماعة، لذلك تعتبر الموروثات والعادات بمثابة قانون ينظم ويوجه المجتمع وبذلك فهي تتطلب الخضوع التام لها، فهي تشكل سلطة المجتمع الغير مدونة والمحفوظة في صدور الناس ومحمية من في وجدانهم، وبما أنها تفرض الخضوع التام لها وتعتبر موجهة للسلوك فأنها وبحسب سمنر روح الجماعة وبحسب دوركهايم العقل الجمعي، والذي من خلاله يراقب الفرد سلوكه وأي خروج عنها يحاسب عليه، وبهذا فالمجتمع يمارس سلطته على الأفراد من خلال العادات الاجتماعية بما لها من قيمة معيارية تتطلب الامتثال الجماعي والقبول والموافقة الجماعية والتي قد تصل أحياناً إلى الطاعة المطلقة، وبهذا نتوصل إلى أن علاقة العادات بالمجتمع هو أنن المجتمع يجعل من هذه العادات السلطة والقانون الذي يوجه به سلوك الأفراد.(فاروق أحمد مصطفى: ص٧٧)

وعند الحديث عن الموروثات الثقافية فهي تعتبر شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية والعميقة الجذور، وينتقل من جيل إلى أخر ويصمد عبر فترات زمنية متفاوته نوعياً ومتميزة بيئياً، فتظهر علية التغيرات الثقافية الداخلية والعادية لكنه يبقى دائماً يحتفظ بوحدة أساسية مستمرة، كذلك قسمت الخطة الشاملة للثقافة العربية التراث إلى ثلاثة أقسام:(خالد خواني واحمد بن خيره: ٢٠٢١، ص٢٨٦)

-تراث مادي: يدخل ضمن المباني الأثرية وما يتم اكتشافه عبر الحفريات والمتاحف.

- تراث فكري: يدخل ضمنه ما قدمه السابقون من كتاب وعلماء ومفكرين ومسؤولين سياسيين، كانوا شهوداً على عصورهم ومبدعين من خلالها.

-تراث اجتماعي:قوامة قواعد السلوك والعادات المجتمعية والتقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية والأمثال، وهي تعتبر بناء خلقياً متماسكاً لمدة طويلة، ويعتبر هذا النوع من التراث ذو ضغط وتأثير كبير على الأفراد وهو يكون مقيماً وراء الوعي والشعور لدى الأفراد في غالب الأحيان.

وعند التركيز على علاقة الثقافة بالنساء لابد من الإشارة إلى مجموعة من الملامح العامة الكاشفة عن التأثيرات المتبادلة بين المجتمع والثقافة السائدة وما ينتج عنها من تبعات على العلاقات بين الجنسين، وحين ننظر للثقافة من منظور نسوي فإننا نتتبع مظاهر الوجود النسائي في أطر الثقافات السائدة، ونظراً لوجود علاقة جدلية مستمرة بين المجتمع والثقافة، فإن أهم خصائصها المنطقية هي المرونة بما يجعله قادر على استيعاب التغييرات التي تطرأ على الفكر السائد و خاصة في عالم تكثر وتتزايد فيه قنوات المعرفة ومضامينها و إشكالها.(هالة كمال: ٢٠٠٥، ص٤)

عند النظر إلى تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء نجده يعود إلى التصورات التي ينتجها المجتمع بتأثير تقاليده وثقافته وعاداته، حيث يشكل الموروث الثقافي الجزء الأكبر من مكونات اللاشعور المتغلغلة في أعماقنا، وهذه الرؤية توارثت عبر الأجيال وحددت لكل من الذكر والأنثى طريقته في الحياة، ومن خلال البحوث والتحليل للأشكال الثقافية التراثية في السير الشعبية والأدب الشعبي والأغاني والملاحم، برزت رؤية الموروث الثقافي لقضية الجندر والتي شغلت الباحثين المهتمين بقضايا المرأة ومشاركتها العامة والتنمية، ويجب توضيح أن زيادة معدلات التعليم وزيادة فرص العمل لا يمكن اعتباره مؤشراً على فهم أفراد المجتمع لقضية النوع الاجتماعي، والسبب في ذلك أن القيم الاجتماعية ترفض مساواة المرأة بالرجل بحجة أن أدوار المرأة الزوجية والأمومة يجب أن يكون لها الأولوية في حياتها.(آنا الخضر: ٢٠٠٥)

وعلى سبيل المثال نجد إن التراث الشعبي قد قرر منذ القدم مركزاً أسمى للرجل وجعل المرأة في منزلة أقل منه وجعله هو المسؤول عنها، ونجد هذا واضحاً في الأمثال الشعبية، فهي تمثل فلسفة الجماهير وسلاحها القوي الذي تحمي بها نفسها وتقاليدها وعاداتها وقوانينها، ويعتبرها البعض مصدراً مهماً للتاريخ الاجتماعي لأي أمة.(عاطف عدلي العبد: ٢٠٠٦، ص١٧١) فالكثير من الأمثال الشعبية نسبت الكثير من الصفات السلبية كالخيانة والغدر وعدم صواب الرأي للمرأة وفكرها، والمستثنى من هذه الأمثال فقط (المرأة الأم) فنالت أعلى مكانة نسبه للمرأة، بيد أن الكثير من الأمثال كانت تتضمن أحكاماً متنوعة تتسم بالتناقض و الالتباس والنظرة المتشائمة لعالم الأنوثة، مع التصوير المتميز لموقع الرجل في المجتمع التقليدي.(آنا الخضر: ٢٠٠٥)

وعند رجوعنا إلى الأمثال الشعبية لوجدنا الزوجة فيها عماد الأسرة والبيت، فيقع على عاتقها إن تكون مدبرة ماهرة فيما يتعلق بأمور بيتها المعيشية، وإلا فهي وبال حل في البيت، فتحوله إلى دمار تهون عنده جميع القوى البشرية، وهنا نذكر المثل السومري: (الزوجة المبذرة التي تعيش في بيت هي أسوأ من جميع الأشرار.(علي القيم: ١٩٩٧، ص٨٣)

أن صورة المرأة في المثل الشعبي لا يؤمن بها عامة الناس فقط بل هي صورة يركن إليها الكثير من المثقفين والعارفين، فتقتضي الضرورة أن ينفصلوا عن وعيهم سواء بسبب الضغط الإكراهي الواقع عليهم من المجتمع، أو بفعل الانزياحات التي يحبذونها ويختارون سياقاتها عند التباس علاقتهم بالمرأة، حيث يمارس المثقف استلابا ذهنياً لمعارفه تجاه المرأة، وتتحقق هذه بالموروث الثقافي، وأن كانت القوانين والتشريعات والواقع الحديث الذي توصلت إليه المرأة قد أتسم بالتطور والوعي، إلا إن التحولات المفاهيمية حول المرأة و النظرة إليها لا زالت مهيمنة بإدارة هذا الصراع، وبالتالي تم عزل وتهميش المرأة، أما من خلال النظم المفروضة فهي تسعى لتهيئة نفسها جسدياً ونفسياً، فصورة المرأة في الثقافات الشعبية تأسست على نمط التهميش والسيطرة واستغلال الخصائص البيولوجية والنفسية وما تعكسه على المنظومة الثقافية والقيمية والفكرية في المجتمع والتي يورثها لأفراده لتستمر مثل هذه الصورة مع الحضارة والجدارة التي تتمتع بها المرأة

حالياً، بالرغم من تحقيقها للكثير من المكتسبات مازال ينظر إليها على أنها ضلع قاصر وتابع لعالم الذكور.(أنا الخضر: ٢٠٠٥)

ومع تغير نمط حياة المجتمع وتغير العادات وقواعد الأعراف ومظاهر السلوك والتي أصبحت تواكب وتساير التغير، فالزواج تغير من حيث النمط والشكل وأصبح يساير التغير الاجتماعي، كما أن كان هناك دور لوسائل الإعلام والاتصال والتي ساعدت على الانفتاح على العالم من خلال إدخال أنماط جديدة على الأسر، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الزواج، فأصبح الزواج في الوقت الحالي لا يحدث دون أن تسبقه فترة تعارف، تتيح لكل من الفتى والفتاة التعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك المستقبل، مع اختلاف طريقة التعارف تبعاً للطبقة الاجتماعية المنتمين إليها، بالإضافة إلى عامل الاختلاط والذي واكب التغير والذي نلاحظه في المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية، والذي ساعد بشكل كبير من رفع حظوظ الاختيار الحر، كما عمد على أن يشرف كل من المرأة و الرجل شخصياً على تنظيم هذا الاختيار، فأصبح التعاون مشترك بينهما والذي يظهر في تحمل مختلف تكاليف الزواج ومسؤولياته، وأتاح للمرأة أن تختار مع زوجها المستقبلي خاتم الزواج ولوازم العرس وغيرها من الأمور والتي كانت في فترة ما من اختصاص كبار السن والوالدين من أقارب الزوج، ولا ننسى مساهمته التعليم وبشكل كبير في تغيير بناء وتركيبة الأسرة حتى في وظائفها وعلاقاتها الخارجية والداخلية، فعندما يكتسب الفرد مجموعة من المؤهلات العلمية يخول لكل واحد منهم أن ينتهج مسار حياتي معين يبدأ من اختيار الوظائف والمهن التي تناسب رغباتهم ومستوياتهم و ميولاتهم من جهة، والتي تساعدهم على تحسين وضعهم الاقتصادي والاجتماعي وتضمن لهم جانب من الاستقلال المادي من جهة أخرى.(سناء الخولي: ١٩٨٧، ص١٧٦)

أن المبادرات الفردية لبعض النساء للخروج من دائرة انعدام الثقة بالنفس ورفضهن لتوجهات القيم والأعراف الاجتماعية من الموروث، فبالرغم من أهميتها فأنها لا تشكل قوة ضاغطة على المجتمع لانتزاع الحقوق، فمن دون وعي جماعي نسوي ومنظم يفرض وجودة على الواقع ويقوم بانتزاع قوانين وتشريعات تقر بتلك الحقوق لا يمكن تجاوز تبعات الموروث الثقافي والذي يأسر الواقع ويقوم بفرض توجهاته على كل جوانب الحياة، ومع أن انتزاع حقوق المرأة من المجتمع يقع على عاتق المرأة نفسها، كونها المستفيدة الأولى منه، كذلك فأن المجتمع لا يكون معفي من مسؤولية حجب تلك الحقوق، وفي الواقع أن الحقوق لا يمكن تجزئتها إلى حقوق المرأة وحقوق الرجل لأن المساس بأي حق من حقوق مكونات المجتمع، يعتبر مساساً لمفهوم الحق ذاته، فهذا المسار من النضال لانتزاع حقوق المرأة من المجتمع الأسير للموروثات من الأعراف والقيم الاجتماعية، يتطلب حشد وانتماء المزيد من القوى الفاعلة لخوض الصراع في تغيير الواقع الاجتماعي والذي يفرض توجهاته على كل فئات المجتمع.(صاحب الربيعي: ٢٠١٠، ص٢٥)

الاستنتاجات:

١- الثقافة هي جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم وليس بالوراثة.

٢- تؤدي القيم إلى اكتساب أفراد الجماعة الضمير الجمعي والذي ينبثق من الإجماع، فالتأثر بقيم الجماعة وتبنيها يؤدي إلى امتزاجها في شخصية أفرادها.

٣- يعتبر الموروث الثقافي أو الثقافة الشعبية ظاهرة تاريخية نشأت من تفاعل عناصر المجتمع خلال فترات تاريخية متعددة.

٤- عند النظر إلى تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء نجده يعود إلى التصورات التي ينتجها المجتمع بتأثير تقاليده وثقافته وعاداته.

التوصيات:

١- العمل على ترسيخ الثقافة الإيجابية عند الإنسان من خلال التعلم وترك الموروثات الثقافية المتناقلة عبر الوراثة والتي لا تمثل الفرد نفسه.

٢- العمل على التأثر بالقيم التي لا ترسخ مفهوم التمييز بين الجنسين بل التي تعمل على نشر المساواة والعمل الجماعي بين الجنسين.

٣- العمل على تقسيم الأدوار بشكل متساوي بين النساء والرجال والتي بدورها تعمل على نشر العمل الجماعي والمساواة بين الجنسين.

المصادر والمراجع

المعاجم

١) لسان العرب: ابن منظور الأفريقي، دار المعارف، القاهرة، ج١٥، ج٤٠.
٢) المعجم الوسيط :مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠٠٤، ط٤.
٣) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الناشر مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
٤) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠٧،ج٥.

الكتب

١) إبراهيم أحمد وآخرون: الموروث الشعبي والهوية الوطنية، دار AGP، الجزائر، ٢٠١٤.
٢) إبراهيم ناصر: المواطنة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ٢٠٠٢.
٣) حسام الدين فياض: الثقافة واللغة، ٢٠١٧.
٤) حسين عبد الحميد احمد رشوان: المجتمع: دراسة في علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
٥) خالد خواني و أحمد بن خيرة: دور الموروث الثقافي في ترسيخ البناء الاجتماعي وتوظيف النظرية البنائية الاجتماعية التربوية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، المجلد (٦)، العدد (٤)، ٢٠٢١.
٦) سامية الساعاتي: المرأة والمجتمع المعاصر، الدار المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦.
٧) سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٨٧.
٨) سناء محمد سلمان: سيكولوجية الحب والانتماء، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠١٣.
٩) صاحب الربيعي: المرأة والموروث في مجتمعات العيب، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٠.
١٠) عاطف عدلي العبد: الإعلام والمجتمع (الأسس النظرية والنماذج التطبيقية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.

١١) عباس إبراهيم: التحديث والتغيير في المجتمع القروي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
١٢) عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة،،دار الشروق، مصر، ٢٠٠٢، ط١.
١٣) علي القيم: المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، دار الأهالي، عمان، ١٩٩٧.
١٤) عزيز حنا داوود وآخرون: مناهج البحث التربوي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
١٥) عماد عبد الغني: سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦.
١٦) عيد الدرويش: سيكولوجيا الثقافة، دراسات فلسفية، دار الفرقد، دمشق، ٢٠٠٣.
١٧) فاروق أحمد مصطفى: الانثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
١٨) فواد إفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.
١٩) محمد الجوهري: علم الفلكلور: دراسات في الأنثربولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.
٢٠) محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٩١.
٢١) محمد زين العابدين وآخرون: القيم الاجتماعية الجوهرية في المجتمعات المعاصرة، بحث منشور، دار المنظومة، مصر، ٢٠١٥.
٢٢) محمد عمارة: الانتماء الثقافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٣) هالة كمال: الثقافة وحرية الرأي والتعبير، مؤسسة فريدريش ايبرت، القاهرة، ٢٠٠٥.
٢٤) يمنى طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧.

الكتب المترجمة

١) انتوني غيدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥.
٢) تيري ايغلتن: الثقافة، دار المدى، بغداد، ٢٠١٨.
٣) نرجس رودكر: فيمينزم، ترجمة: هبة ضافر، بيروت، ٢٠١٩، ط١.
٤) ويندي كيه. كولمار: النظرية النسوية مقتطفات مختارة، الأهلية للنشر، الأردن، ٢٠٠٩، ط١.
٥)

الصحف والمجلات والمؤتمرات

١) آنا الخضر: صورة المرأة في الثقافة الشعبية، صحيفة الثورة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، على هامش ندوة المرأة في الثقافة الشعبية التي أقامتها وزارة التعليم العالي المجلس الأعلى للثقافة والآداب والفنون، ٢٠٠٥
٢) مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، السعودية، ٢٠١٨.

المصادر الانكليزية

1) Chi-Lu, Chen, people and Culture, 1987,Southren Materials Culture, Taipei ,p22.